

كل شيء هادئ

في الميادين الغربية

All Quiet on The Western Front.

وهو "التي رحمت الى جميع اللغات وماتت أكر
"ع" وا داب في "والسما طبع مهابي اختراع
"م" "ال" "م"

By Erich Maria Remarque



مكتبة الخديوي
مكتبة الخديوي



صورة الممرّب

مقدمة

هذه الرواية هي أكبر وأعظم دعوة للسلام العالمي وقد عرض أفلها على جميع ألواح الصور المتحركة في العالم، ولقد أحدثت رجح كبرى عند ما عرضت بالتمساحي أن الشعب المنسوى تهيج وصار يلقي بالبيض على الستار القضي وسودت الرواية فعلا في تلك البلاد الحق يقال أن هذه المأساة هي أبلغ درس للعالم وأحسن عظة حريثة تبين فظاعة الحرب العظمى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ تلك الحرب لدمه المريعة الى لا يزال ذكرها يتلأ بالنفوس أسى وحزنا وضعف من قلبها وتأثرا

ومرى المؤلف هو السلام ونشر الوئام والحب بين الناس جمعا وطعن جرى في الحروب وويلاتها وما تجر من عذاب وترمل ويم وحسرة قلوب، حتى اذا مات من القارى النظر فيها شعر في نفسه عميل غريب يدفعه الى الحب العالمي وحب السلام وكره الحرب مهما كان سبها تقدم مل المؤلف الحرب في روايته أحسن تمثيل بدون محاباة حتى أن الذي لا يعرف الحقيقة لا بد أن يعلمها علم اليقين من روايته هذه ولقد أحسن اخراجها في فلم ناطق جميل الميسولويس

ميلستون وأبداع الممثلين في أدوارهم أجمل ابداع وعرض فلهما
في جميع دور السينما في العالم . ولقد استقيت من كتب التاريخ
قترات تاريخية عن الحرب العظمى لها علاقة كبيرة بهذه الرواية
والتعريب بقلم من الستار الفضي .

المعرب

الفصل الأول

نبذة تاريخية

أنشأ الدكتور كارل يترس (حزب الجامعة الجرمانية) في سنة ١٨٨٦ ووضع برنامجا عظيما لسياسة ألمانيا المقبلة وكان هذا البرنامج ينطوي على بناء اسطول ضخم وإعداد جيش قوى لفتح مستعمرات عديدة للمتاجر الألمانية والمهاجرين فيما وراء البحار كما ينطوي على أعمال أخرى كثيرة هائلة أهمها استثمار أراضي توكية آسيا وإنشاء مستعمرات في جنوب افريقية وجنوب أمريكا برفرف العلم الألماني فوقها جميعا. وقد رفع سياسة الغزو والفتح الى درجة المبادئ والعقائد الثابتة نقر من الكتاب والمفكرين الألمانين. ولنضرب مثلا بما ذهب به أحد مؤيدي (فنيشه) بأن قال «إن الأرض إرث القوى والمستقبل للشعب المتفوق على الجميع وإن المسيحية بحضها على الرفق بالضعيف والعاجز لاتصلح ان تعيش، فإن البقاء حق الأصالح والقوى وحده»

وجدت فكره السيطره والسلطان والاولى كان الى القوة ولا يمكن ذلك الا بالحروب فاستمدت ألمانيا استعدادا هائلا

وأرادت ان تختبر قوتها كما تختبر قوة اربطاط دول الوفاق (فرانس
وانجلترا وروسيا) في ذلك الحين فتلست وسيلة لتنفيذ سياساتها
الجديدة فأرادت ان تنازع فرنسا في السيطرة على مراکش وقد
كانت فرنسا تعمل منذ اوائل القرن التاسع عشر لبسط نفوذها
هناك. زار امبراطور المانيا (طنجه) مراکش وأعلن ان حكومته
لن توافق على اى تغيير فى نظام ادارة مراکش او تغيير سياسى
فى شئون تلك البلاد من غير رضا المانيا ومعنى هذا أنها تأتى مد
نفوذ فرنسا من غير تعويض لها . وما ان تقرر فى مؤتمر الجزيرة
سنة ١٩٠٦ احترام استقلال مراکش وتكليف فرنسا بالمحافظة
على النظام فيها لم يرق هذا القرار فى عين المانيا وتمحنت فرصة
ارسال الجيش الفرنسى سنة ١٩١١ لاحتلال عاصمة مراکش
فاحتجت المانيا وعززت احتجاجها بأن أرسلت هى الأخرى
(المدفعية) التى كانت بأثر الى (اغادير) وأعلنت ان قصدها
من ذلك انما هو صيانة المصالح الألمانية هناك وحماية تصدها للتحرش
واختبار قوه اربطادون الوفاق كما ذكر سابقاً . وكاد الأمر على
ذلك يذهب الى قيام حرب اوربيه لو لم يحل المشكل وتغلبت روح
المسالمة وتقرر فى مؤتمر الجزيرة سنة ١٩١٢ .

أولاً — اطلاق يد فرنسا فى مراکش

ثانياً - التنازل عن جزء من الكونغو الفرنسية نظير ذلك لألمانيا

عدت ألمانيا ذلك انخذالاً لها وعلمت من هذا الاختبار وتلك
التجربة التي قامت بها أن لا بد من أن تضاعف مجهود قواها
البرية والبحرية وأن تزيد استعدادها بقوى عظيمة مناسبة لتعزيز
سياستها

نشبت الحروب البلقانية سنة ١٩١٢ وقد هزمت فيها تركيا وتلبد
جو السياسة الأوروبية وصارت الازمة التي تنذر بوقوع
حرب عظمى .

وكان نتيجة هذه الحروب امتداد نفوذ الصرب امتداداً هدد
الطريق الاعظم إلى بغداد ، وحرك مطامع تلك الأمة السلافية
لانتفاذ اسماء جنسها الخاضعين لحكم النمسا . واليك اامت مباشر
كان نذيراً للحرب أو قل انه كان فاتحة الحرب العظمى وهو قتل
وارث العرش النمساوى وزوجته في (سيراجيفو) يوم ٢٨ يونيه
سنة ١٩١٤ والقلة طابان صربيان هذا الحادث أحدث هياجاً
كبيراً في الرأي العام بالنمسا حتى اسرعت الحكومة النمساوية لمطالبة
"صرب بعهدة مطالب في مذكرة شديدة الالهجة ، عظيمة التحدى
وأهم تلك المطالب . الاشراف على التحقيق لاعتماد الرأي العام

في النمسا بوجود مؤامرة كبيرة تشترك فيها نفس الحكومة الصربية
ويمكن القول بأن هذه المذكرة كانت بمثابة إعلان للحرب . ولما
ان ترددت الصرب في قبول بعض الطلبات زحفت الجنود النمساوية
الى بلغراد في ٢٨ يولييه سنة ١٩١٤ وعبأت روسيا وهي زعيمة
السلاف جيوشها لتحمي الصرب وتدافع عن مصالحها في البلقان
فتدخل امبراطور المانيا في الامر لمناصرة حليفته النمسا بأن طلب
من قيصر روسيا ان يمنع تعبئة الجيوش ولكن القيصر قد رفض
وفضاً باناً وترتب على ذلك انضمام المانيا الى حليفها النمسا كما انضمت
فرنسا الى حليفها روسيا . وأعلنت المانيا الحرب على روسيا
وفرنسا في ١ أغسطس ، وفعلاً زحفت بجنودها على فرنسا بطريق
البلجيكا يوم ٣ أغسطس ودافعت البلجيكا بسالة نادرة عن حرمة
أرضها . ولكن بريطانيا التي اغتاضت من المانيا واعتبرتها قد
خرقت القانون بتكسير معاهدة سنة ١٨٣٩ التي تقضى بأن بلجيكا
عائده مستقلة ولا يجوز لجيش ان يحترق أراضيها . وعلى هذا
الارتكاز وهذه الحجة أعلنت الحرب في ٤ أغسطس سنة ١٩١٤
على المانيا للدفاع عن حياد البلجيكا وهذا الارتكاز التي ارتكزت
عليه بريطانيا ليس حقيقيا وإنما الحقيقة انها دخلت الحرب للدفاع
عن مصالحها الذاتية .

اتسعت نطاق الحرب ودخلت فيها معظم دول العالم مشتركة
م لتدرج كل لمصلحته أو لعامل آخر . ولكم أثقلت الحرب
العظمى كاهل الشعوب جميعها تقريبا بحمل هائل عظم ما كانت
لتشعربا ثقل منه طول الحياه . حتى الشعوب الضعيفة التي ليس لها
في هذه الحرب تحملت خسارة كبيرة من مال ورجال وهي يرثه
من هذه الحرب . وبعيدة عن اغراضها ولا نستتي هنا ما فعلته
انجلترا من إعلان الخدمة الاجبارية سنة ١٩١٦ واشركت بذلك
رجال مصر ورجال الهند وغيرهم

أول دور لهذه الحرب العظمى كان في الميدان الغربي بأن
زحف الجيش الألماني الى بلجيكا فسقطت لياج بعد دفاع مجيد
نامور واجهدت القوات الفرنسية والانجليزية قواها لا يقاف
الزحف دون جدوى فهزم الفرنسيون عند شارلوا وارادت
الانجليز عند مونس وانتهت هذه الموقعة الأولى بنصر الألمان
الذين واصلوا الزحف على فرنسا وسقطت ليل ورعس وراميان
واحترق الفرسان صفوف الأعداء الى نحو ١٧ ميلا من باريس .
الأمر الذي أرغم حكومة فرنسا الى الرحيل الى بوردو .
تولى القصر الملكي جميعا مما قد حدث في هذه الموقعة وتمنوا

فإن لو تبطل الحرب وتنتهي. وكان للتواصلات الألمانية شأن كبير
 وخطر جسيم، ولقد دخل رجل ألماني في بيته فسأله زوجته متى
 سيكون انتهاء هذه الحرب فكان جوابه بأن قد أسر اليوم ٣٠ ألف
 أسير، وعلى ذلك سوف لا تدوم الحرب أكثر من شهرين أو ثلاثة
 وبينما نرى الحنود الألمانية تعب، ذاهبة إلى الميدان تحترق
 الشوارع بين العويل وصراخ الوداع واللقاء الرهور، إذا بالأساتذة
 في فصولهم بالمدراس يهيجون الطلبة ويحيون فيهم روح الشجاعة
 بحب الحروب، ولقد كان أحدهم يخطب وسط تلامذته في إحدى
 المدارس وقد حول الحصاة إلى مظاهرة وفوضى بأن قال :

— « أيها الفتيان إني أود أن تكونوا رجالا بمعنى الكلمة
 وإلّا حوله لا يتم معناها إلا بالشجاعة والبسالة ولا يمكن أن توجد
 هذه الصفات الحميدة إلا في ميادين القتال، هلاك نظار البطولة
 وتظهر الأسود من السعاح، هنالك الذباط والقوة والمجد وما
 أحمل أن يرى المرء نتيجة لئاله بما ناله من الشياطين فوق صدره
 الذي يتأحج داحنه حب الوطن وحب نصرته، والتعاني بإخلاص
 باستخدام كل قواه، بل وبدل النفس النفيس من أجل رفعة
 ورقية وسيطرته. وها هو الوطن يدعوكم فلبوا دعوته، انه يناديكم
 تعالوا يا أي أنصروني ودافعوا في سبيل تقدني وفلاحي، في سبيل

سيطرتي وسلطاني . ولا سيطرة الا بالقوة ، ولا سلطان من غير
شجاعة وتضحية ، أجيئوا نداءه أيها الطلبة وقدموا انفسكم قربانه
له ، المائنا التي استظلتكم بمائها وحملتكم فوق ارضها ، المائنا التي
تريد أن تكون لها الغلبة على كل الشعوب والغلبة للقوى لا للضعيف ،
ولن تكون قوية الا ببنائها أي بكم وبامثالكم ، أمحيهم ان
تغزلوها ؟ الا تريدون رفعة وطنكم ؟ اليس فيكم من يجيب دعوة
بلاده ؟ من منكم يود أن يكون شجاعا ، يضحي حياته في سبيل
سيطرة جنسه على العالم ، وسلطان وطنه على الشعوب ؟ من منكم
يطلب هذا احد اذن ؟ فليقم اذن الموافق ؟ »

وقف من الطلبة وليرثم وقف بمدحها مولد وكان الرابع
بول الذي كان يستمع لخطبة استاذة بكل جوارحه وقد بلغ التأثير
أشده به ، وبعد ذلك قام فرانز كمرخ ثم كرويه وتبعهم باقي الفصل
الا واحدا ارم على أن يشاركه لاداه وهذا الاخير لا يميل الى
الحروب لاعفاده انماثرووبال وقد يكون في رأى الفرد أحيانا
صوابا على الجماعة فيحطئون وهو غفرده على حق ؟ اخيرا كانت النتيجة
أن أصبح لمصل فوصى وقد مزقت الطلبة كتب الدراسة وألقت
بها في الارض وطوحت ببعضها في الهواء وشطب أحدهم ما كان
بالسبورده ، ومع الاستاذ وسطهم يغني معهم اشوده نصر المائنا ،

وسؤدها وكانت الأ نشوده حماسية وطنية أثارت روح الحماس في نفوسهم (المايا فوق الجميع) وقد خرجوا من المدرسة بمظاهرة وهم ينادون بصوت مرتفع « الموت في سبيل الوطن سعادة ومجد » ذهب الجميع الى فرقة التطوع وكتبوا أسماءهم وقد اعطيت لهم المهمات والملابس العسكرية ، ودخل الجميع حجرة الملابس ايرتدوها وهم فرحون مرحون بمنح كل منهم مع زميله وعلى وجهه ملامح البشر والسرور ، ولقد قام أحدهم بمدان خلع ملابسه الداخلية وأراد أن يجلس على سريره ايرتدى (السروال) البنطلون عظام مفروعا وذلك لأن أحد زملاءه كان وقد وضع له القبعة ليجلس عليها (والقبعة الألمانية لها سن في الوسط مدب) فضحك الجميع عليه . وكان في وسطهم ذلك الشاب الذي اضطر على مزاملتهم وقد تباطأ في اللبس متشبها برأيه . فحمسوه حتى لبس مثلهم وقد قبله أحدهم قائلا :

— ستعود الى أهلك وذويك بعد أن تكون قد أدبت واجب

وطنك وهو أول ما يجب أن يعتنى المرء به

كان فرانز كرخ حذاء جميلا متينا فيينا هو يرتديه وهو فوق سرر مرتفع وكان مولر واقفا بجانب السرير وأراد كرخ أن يمزح معه فاحاط وجهه بحذائه هذا غير أن مولر قال له :

— أبعد هذا الحذاء عن وجهي ، ماهذا ؟

— انه حذاء متين جميل

— ليكن جميلا ولكن لاتضعه هكذا في وجهي

اتهي الأمر ولكن مولد قد أعجب حقا بالحذاء ، وتني أن

تو يكون له ملكا

هملستس **Himmelstose** عامل البريد كان يوزع البريد

على المنازل وتعرفه الطلبة حق المعرفة ولكنه قد تطوع في الجيش

وتدرب فيه حتى ارتقى الى درجة (باشاويش) ولما أن ودع

الجميع أهله وذهبوا الى فرقة الهرين ملحت فرقتهم هذه المستجدة

الى عامل البريد هذا ولما ان دخل عليهم احتاطوا به وصار كل منهم

يقول « هل معك خطابا لي ؟ » فزجرهم قائلا هل ذهب عنكم

وعيكم وخاب رشدكم وافهمهم انه الباشاويش المكلف بتدريبهم

وقال لهم وهو يمشي بينهم : — قفوا جميعا اتم هنا جنود

والجندي خشن لايعلم من النعومة شيء . وجدتم هنا لتكوبوا

رجال قوة وفظاعة لأولاد استذكروا ودراسة . والآن هيا لتدربكم

على الأنظمة العسكرية اذ كلفت بتعليمكم الشجاعة لا العلوم

والدروس الرياضية وغيرها . وليعلم كل منكم أنه هنا ليس الاجندي

خلف في عظمة عسكرية . ولينسى كل ما تلقنه من الدروس متفروغا

لهذه الحياة الجديدة . مهتا بكل التدريبات التي سيتلقاها . والآلة
حيوا التحية العسكرية . ظهارة . سلام

ثم اخذهم خلفه وهم متشوقون لحمل السلاح واستعماله تم جاء
هم في قطعة أرض كلها أوحال وصار يدربهم على المشية العسكرية
تم في الوقت نفسه يعلمهم عند حلول الخطر في أي مكان كان عندما
يسمع الجميع النداء الخاص يلق بنفسه على الأرض منسطحا على
وجهه . وعاكسهم كأنه يريد أن ينتقم منهم لما قابلوه به من السخرية .
فيمشي امامهم حتى اذا ما قرب من جهة موحلة ، صرخ بنداء
الخطر فينسطحون على الأرض في هذا الوحل الكثير . فتسترخ
ملابسهم وتلوث وجوههم في الطين وهو يضحك ويهزأ بهم
متشفيا حزاء أ لهم تما قابلوه به من الهزء . ثم يبعد هم عن الأوحال
ويأمرهم الغناء فينشدون نشيد الحماس والوطنية «المانيا فوق الجميع»
حتى اذا ما اقترعوا من نصف النشيد يصرخ فيهم قائلا:

— آه انكم قد نسيتم الشجاعة في الأوحال فلتعودوا

اليها لنبعث عنها هالك حيث تركتموها

ثم يرجعهم الى الأوحال ويعيد الكرة بنداءاته فينسطحوا
على الأوحال حتى صار كل منهم ملوثا كل التلوث بها واغتاظوا
جميعا وتيقنوا إنما هو يريد هذا عن قصد

أمرهم (هملستس) بالغناء ثانيا وأعادهم إلى الطين، وهكذا أخذ يعنهم في تعاليمه تكرر هذه الخطة حتى كاد كل منهم أن يطفح به الكيل ولما ان انتهى وقت التعليم العسكري وجاء وقت الراحة اجتمعوا متحزين على أن ينتقموا منه ، وكان رئيس هذه المؤامره يول ذلك الطالب الذى كان يستمع بأذان صاغية إلى حديث الاستاذ كاتتورك حينما كان يلقي خطبته في الفصل

وفي وسط ميدان التدريب جاء قائد الماتى ومعه وكيله وقد نادى للباشجاويش (هملستس) واستعرض فرقته ثم أمره بأن يجهز هذه الفرقة المستعدة للرحيل الى ميدان الحرب (الميدان الغربى) على أن تمنح الفرقة إجازة الراحة نصف تلك الليلة ، فصعد للأمر وحى القائد كما حيته الفرقة. ولم يذهب هذا القائد وزميله وغابا عن الانظار بسرعة فرسهما العريقين حتى أمر هملستس فرقته بالانصراف الراحة وذهب للشراب لينعش نفسه ويروح عنها.

❦ انتقام الطلبة ❦

أما الطلبة فقد نفذوا مؤامرتهم وأخذ يول ومعهم برده (ملايه) كبيره ، ونصبوا جبلا طويلا قد ربطوا طرفيه في شحرتين وقد اعتلوا جميعا احدهما وانتظروا قدومه وقد اتى يترنخ في هذا الطريق ذات اليمين وذات اليسار ثملا وهم فوق الشجرة

يتغامزون عليه حتى اذا ما وصل الى الجبل عثر به في هذا الظلام الخالك
 ظلام الليل البهيم فسقط على الارض ولم يشعر الا وبرده قد غطته
 وقد أوتق وثاقا شديدا وكان كل ذلك بأسرع ما يمكن حتى انه لم
 يشعر بهم عند ما قفزوا من الشجرة ولفوه في الردة وشدوا وثاقه
 شبعوه بعد ذلك ضربا مؤلما وهو يستغيث ولا مغيث. ثم حملوه
 وألقوا به في ماء بركة صغيرة بعد ان ارتاح ضمير كل منهم بهذا
 الانتقام. ووصى بول زملاءه بالكتمان التام وعدم الضحك بأكر
 عندما يأمرهم بالاستعداد للرحيل. وهكذا تم لهم الصرع على هذا
 الزعم المتعريف وعدوه شر عذاب جزاء ما قدمت يداه لهم من
 صنوف الذل والاستهتار

— السفر الى الميدان —

حاج وقت السفر وقد استعدوا الاستعداد التام ووصلوا الى
 الميدان الغربي في ساعة الحاجة اليهم اذ كانت وصولهم ساعة
 هجوم شديد، وكانت القنابل تلقى من الطيارات فتنسف ماتقم
 عليه نسفا، وكان الرعب والهلع مستوليان على القلوب غير ان
 ضابطا من الضباط قد قال لبول وهو يسأل عن مصدر هذه
 القنابل وأين الجيش الذي امامهم ليظهروا شجاعتهم ضده ؟ فأخبره
 هذا الضابط بان هذه ظروف الحرب اذ تكون الجنود في الخنادق

أوفي الراحة واذا بالقنابل تأتي عليهم من الطيارات ولا يذبحون للاقتناء
غير الاستلقاء على الأرض فابتسم بولمتدكرأحوادثهملمستس،
وقال الضابط له

— اذهب الى زملائك وقل لهم ولباق الجودان الامر
بسيط.

عصفت عاصفة حربية أخرى والتزمت الماس حطة الدفاع
في الميدان الغربي واحتاجت الى استخدام وحدات المايه قويه
-خصوصا وقد انضمت ضدها في هذا الميدان روما مع الحلفاء
وكان هذا الانضمام سنة ١٩١٦ وكانت الحصار مدته يومه للطرفين
(حادث المجاعة)

حدثت مجاعة في هذا الوقت وقحط شديد في الجيش حتى
أن جميع الطلبة وجميع الجنود قد بلغ بهم الجوع مبلغاً شديداً .
فذهب كات وهو جندي غليظ الجسم ليستحضر لهم طعاما . فما
كان منه إلا أن نام تحت عربة الذخيرة العامة التي تحمل فيها
الخنازير المدبوحة وكان الحوذي يتلقى كل خنزير بين يديه من
الناول ويضعه في العربة . فاحتال كات بأن ضرب الحصان
وهو تحت العربة فشئ واضطر الحوذي أن يجرى وراء العربة
ليوقف الحصان فتنت الحيلة وانتهز كات الفرصة بأن ووقف

مكان الحوزي. يأخذ من الناول ما يليقه له . وهكذا تم له
أن نال خنزيراً وكان سميناً مثله فقبله وهو يلعب بلسانه كأن ريقه
قد سال منه اللعاب . ثم جرى به الى زملائه وكانوا إذ ذاك يتحدثون
عن فظاعة الحرب وكرههم الاستمرار فيها ويظهرون شعورهم
بالجوع وهم متضرعون . ففرحوا بقدم كات ومعه هذا الخنزير
الغليظ وخطفوه منه ووضعوه فوق النار كما هو شأنهاوا عليه أكلا
قبل أن يتم شويه ونضجه . وبينما هم يأكلون اذا بالقنابل تهبط
وتنسف وتفتك فتكها بجوارهم وقد أصاب مقدم المكان الذي
هم فيه عدة مائة سقط فيها أحد الطلبة وهو فرانز كرح مدرحاً في دمه
فألقى به من تحت الانقاض وهو يصيح ويستغيب
متأثماً بالأساءات الردم . ونقل الى مكان مستوصف الصليب
الاحمر المجاني

(تقهقر المانيا وهول الحرب)

د هور الحرب وهجمت القوات الفرنسية وحلها بها وحماها .
حملة شتاء ١٩١٥ الألمان وقامت بحركة التفاف خطيرة حول جناحهم
الأيمن ليكشف تهوره في التقدم الى الامام حتى أرغم
الجيش الألماني بذلك أخيراً الى التقهقر للوراء بعد التقدم
واستمرت فرنسا هذه الهجمة جزءاً كبيراً من بلادها ، وكاد

تعملا يتحول تقدم الالمانيين الى رجوع الى الوراء مع دفاع شديد غير انهم أقاموا التاريس والخنادق ومدوا الاشواك (الاسلاك الشوكية) رحد الحلفاء حذوهم وتحولت الحرب من ذلك الحين الى سنة ١٩١٨ ^(١) الى معارك محليه على طول خط امتال باليدان الغربى الذى كان ابتداءه بأوستند ببلجيكا وينتهى عند الحدود السويسرية .

— انصار المانيا أخيرا —

اشتبكت الجيوش مرة ثانية وصارت الجنود الفرنسية الى الامام مسافة طويلة والجنود الألمانية منتظرة فى خط نارها بالخنادق وامام الخنادق الأسلاك الشوكية حتى اذا ماتقدم الجنود الفرنسية ووصلوا الى تلك الأسلاك فتك الألمان بهم فتكا ذريعا واستعملوا المدافع الرشاشة بدتة ونظما حتى أن معظم الجيش الردى الذى وصل الى هذه الأسلاك من يبع نسها عريعا مقتولا

(حالة الجوع شديدة النصر)

قام الجنود الالمان - بعد ان رزوا فى الموائد فى منزل من منازل الجوع - بقتل اربعة اشخاص - راحل - بالآلة فى الارض بمصر

(١) تاريخ القرن التاسع عشر الى نهاية الحرب للعظمى

وأناشيد الوطنية، وتربوا نخب سيطرة ألمانيا على العالم، وبينما هم في فرح وسرور اذ ألقت نظر بول امرأه بجانبها رجل أمام امرأة وقد عكست المرأة هذا المنظر أمام بول فظنه فعلا وتخيل أن هذه المرأة حقيقة فألقت نظر زملائه وقاموا إليها فاذا هي صورة كبيرة متقنة يتحليها الرأى الحقيقية وقد خدعت الصورة بول خداعا كبيرا، ولما كان مثل هذه الصورة غريبة وسط الحروب فقد وقف الجميع يتعازل فيها مغارة الحبيب بحبيته، والحق أن مثل هذه الرؤية فكاهة ددرة سارة عندهم لحرمانهم منها، فنزلوا في حالها وفي تأنيق ثيابها وحتى في أحذيتها البديعة دار الكعب العالي المرتفع ولقد هال بول

— آه! إن هذه الأحذية لن تصلح هنا في السير أو في ميادين القتال، إنما تصلح جداً للرقص وحضور المناسبات، وتصلح لحياة التردد والمعومة لا لحياة الحروب راكضين.

وانت تقدم أحد الجنود معتاتاً نحو الصورة ورزق صورده الرجل الذي بجانب المرأة غيرة وحقدًا وقال بعد أن ألقاها على الأرض ووطئها بأقدامه

— هاهي المرأة منفردة. قد أصبحت وحدها لا يساركنا فيها أجنبي. ولا تغار من كان بجانبها

ثم تحولوا عنها وانتهى الأمر بأن تغنوا وشربوا كؤوسهم
وتمازحوا وتغلاوا بجمهر الفرح والارتياح أكثر من ثملهم بذات
الحر المشروب

﴿ العطف الانساني وقت الشدة ﴾

ولكن ألبير قد جرح في هذه الموقعة وبيتا الخنود
ملقاة على الارض لضرب الرصاص اذا بصديقه بول قد ذهب
ليأتى « نريزه ألبير فأنبه الباشا ويشملستس على ذلك قائلاً .
— إن كانت وظيفتك الاتيان بالقتلى وحمل الجرحى فانك
ستعرض روحك للقتل وايست هذه مهمتك
فنظر اليه بول نظرة الغيظ وانتهى الأمر بأن أرسل ألبير
الى الصليب الاحمر وقد أصيب اصابة خطيرة في ساقه

(الويل والمشقة وسخط الخنود)

قد ذهب الجميع في هذه الموقعة تعباً شديداً وتصابى «عرق من
وجوههم وقد مات منهم عدداً كبيراً كما جرحت أنفار نفراً كثيراً
أرسلت مع ألبير الى المستوصف وكان منهم زميلاً من زملاء الطلبة
يدعى Wegler وجرح أصيب في يده وقطعت بعملية جراحية
بالمستوصف

كان بول وسط اخوانه وقد جن أحدهم وصار يصرخ ويقول أقوالاً

كثيرة بصوت مرتفع مزعج وأخذ الباقون يتجاذبون اطراف
الاحاديث فقال أحدهم

— أنا لأعلم ما سبب كل هذه الحروب، وما ذنب هذه
النفوس البريئة والأرواح المظلومة التي تذهب ضحية الاغراض
فقال آخر:

— وأنا أيضا أعتقد أن لو يكون في مقدرتي معرفة لغة الأعداء
لأنقاهم معهم وأسألهم عن سبب هذا العدوان ونشوب هذه
الحرب الفظيعة

وقال ثالث في تألم وحاس:

— جهات في الخريطة يحوار بعضها بعضا فلماذا الحرب
والخصومة ونذا تسعى كل جهة في أن يكون لها بالخريطة الأكثر
والأنفع، ولم لم تبق هذه الجهات تتولى شئونها في جو سالم يغلب
فيه الصفاء والسلام؟

فأجابه رابع قائلا:

— ليس هذا خصومه بين جهات على الخريطة كما تقول
ولكن الخصومة بين الشعوب وهما في حال تناك الشعوب بدوق
مرارة موت السبع وتسرب صنود من كؤوس العذاب الأليم
والذل المنقم من أجل هذا الطمع العريض

وقال خامس :

يا لمحب أليست هذه الحياة الا حياة الجحيم ؟ واشوقي
 الى حياة السلم رحو الصفاء والوثام داخل منزلى وسط أولادى
 وأهلى وزوجى ، الا أن تلك عيش الهناء والراحة والسعادة
 وهكذا صار كل منهم يظهر سخطه وكرهه لاستمرار هذه
 الولايات ويلات الحروب وأهوالها وقد فضل الجميع حالتهم فى منازلهم
 عن حالتهم فى الميادين والقتال اذ رأوا فى حياة الحرب كل النساء
 والشقاء . غير أن بول ذلك الشجاع الرزن الذى كان يستمع لما
 يدور من الحديث دون أن يلفظ بينت شفه قال اخبرا للجميع
 — ما بالكم قد ضللتهم سواء السبيل . ما لكم واخذت
 عن الحرب والسلم وليس فى مقدركم عمل تعملوه . الا يجب
 أن ترضخوا لظروف الحياة وما كتبه الله اكم . ولا تكونوا
 بالانذار بكم كبرا دون مائدة رحى ولا حمار يره

كانت هذه الموقعة السابقة التى انتهكت قواهم وخبات قوتهم
 هى أول راحة عمدة فى الميدان الغربى . ابتدأت تهديد
 محائل راسية المدفعية ومدافع الرداء بالانذار . تحت
 غير اذ بطال النبال القذرات وبقية المدافع والذخائر وط
 الأولى والامية والسالة غير أنهم لم يستطيعوا أن يستفروا بالنصر

والفوز الذى تيسر لهم فى هذه العاصفة اذ تغلب الالمانيون على
الازمة فى نهاية الامر .

الفصل الثانى

* تأثير الجوع *

كانت الطلبة المتطوعون وبقى الجنود يخطفون الأكل من
بعضهم البعض ولا يجدون احيانا حتى فضالة أى شئ . ليسدوا
بها حاجة الجوع . وبالجملة فحالة الجيش فى منتهى البؤس والشقاء
(عباده الجرحى وقسوة رجال المستوصف)

وبعد الحديث الذى دار بين الحند عن الحرب والسلام أقر
الطلبة ان يذهبوا لرؤية الجرحى خصوصا كرخ فذهبوا الى
المستوصف . ولما وصلوا اليه حيوه وشجعوه غير أن مولر قد
نظر تحت سريره فوجد حذاءه الجميل فأراد ان يذهب كرخ على فقد
رجله ولكن بول أشار اليه بعينيه وأراد منه ان يتفاهأ وقال
لكرخ :

— هاهو حذاءك يا فراقز ملقى تحت السرير

وكان بهذه الكلمة قدأ لفت نظره الى رجله التى قطعت
بعملية ولم يدر من امرها شيئا من قوة تأثير البيع عليه فوضع

يده على ساقه فلم يجده وتخبيل عقله وصرخ وسط اخوانه قائلا :
 — ها . لقد قطعت رجلى . أين ساقى آء . انى أشعر بألم
 متضاعف شديد

فهدوا روعه وهم بين متأثر وحزين الا أن مول قد قال له
 ولم يراع هذه الحالة التى هو فيها
 — انى أرى الخذاء اذن غير صالح لك فهلا آخذته لا تنفع
 به . إنه أصبح غير مفيد أو لا تنق لك

تأثر الجميع وقد أشار اليه يول بالمظهر مع نظرة الانتقاد
 والغيظ وانصرفوا من عنده داعين له بهام الشفاء وعزم مول
 ان يكتب خطابا الى ام كرخ وفعلا كسبه عندما وصل الى
 للمسكر كان يول قد بقى بجانب كرخ وقد خطى بخطوات الثبات
 والرزاقية حتى قرب برفق من سرير صديقه كرخ وقد حيا ووضعه
 يده على رأسه ومرمها على شعره الذهبي الجميل بسفقه وراى أخرى
 ، ولم يكذب يقع بئرا كرخ على هذا الصديق المحلص الأمين حتى
 شكى اليه ألمه وقال له

— إن للمرضين قد سرقوا ساعتى . فى اللقطاعة
 — لا تخف ستعاد اليك قبل أن تخرج من هنا ، ولقد قال

لك مول

ان من الواجب ان لا تحمل مثل هذه الساعة الثمينة معك هنا
مولر سوف لا تعود لي ساعتى
— لا . ستعاد اليك . ولماذا تتخذ الساعة الثمينة وانت فى
مثل هذه الحالة ؟

— آه . يا بول إني أشعر انى لن أعود الى أهلى
— لا تقل ذلك . ثق انك ستعود الى بيتك فى كلستر مبرج
بعد الشفاء . وليس لك الا أن نحمد الله على ما أصابك ، فقد قطعت
يد وجلر وأصيب البيرومات أنفار عديدة ، فاشكر الله واذكره
والآن هلا تريد أن ننام لتستريح ؟
— آه ! سأنام نومى الأخيرة ولا قيام بعدها اذ قد وفى
الأجل

— فرانز ! كن شجاعا . ألا تذكر قول الاستاذ كاتتورك فى
خطبته التى جاءت بنا الى هذا الشقاء . آه ! ماذا أقول ؟ انه أطلق
عليك على ابر و كروب ومولر « الشبان الحديدى » .. كمرخ
أصب على رأسك ان ذلك من عزم الأمور .
لنبحر به كبح لا بد معة غزيرة تأوّه لهاول وتألم ألما شديدا
ورأى . معنى رأسه تلك الدموع التى تفرقت فى مقاتى صديقه
وأراد ان يه واسيه أعذب الأحاديث غير ان فرانز كمرخ

كان في شدة الألم ومحاول أن يلفظ بعض الكلمات فلا يساعده صوته، ولم يجد في نفسه قوة على التلفظ فقال بصوت ضعيف متقطع — بول . ادع . . . لي . الطبيب

فلم يتم آخر كلمه حتى هروا بول يستدعى الطبيب وسأل عنه حتى لقيه وسط (العنبر) وقال له في أدب وبواضع :

— دكتور . إن كمرخ الشاب الصغير نفاشه عمرة ٢٦ في أضيق ساعاته وفي حاجة ماسة اليك والى عيادتك له . فهل تصحبنى اليه ؟

— انك لاتعلم ايها الشاب مشاق وطيفتى هذه . إنى أعمل هذا من العاهسة صباحا ، ولقد مات اليوم ١٦ وصاحبك السابع عشر وسيكون عدد الموتى ٢٠ ، وأنا لا يمكننى إحيائه كما لا يمكن أن أكلف نفسى مالا طاقة لى عليه

فرفض الدكتور اذ أن يصحبه لخدمة خاصة ويترك خدمته العامة فألح عليه فى تواضع وتأثر وشرح له حالته المؤلة الخطرة فأنى الطبيب أن يستمع اليه وقد تركه وانصرف وبول ينظر اليه نظرات الحقد والعداء يريد ان يلحقه ليفك به ويقسو عليه ليذيقه عذاب مقابلا لقسوته الشديدة ، غير ان احدى للمرضات قدمته ولبي فداء الواجب للرجوع الى صديقه وزميله ، فعاد اليه وهو في شدة الألم .

والثأمر ولكنه لم يظهر له شيئاً ، وقال له في طلاوة وعذوبة وانتسراح
 — سيعود الدكتور حالا وعمر عليك الآن . ثم ركع بجانبه
 وهو يستروجه منه كيلا يرى تلك الدمعة التي سالت من مقلتيه
 وحاول ان ينظر اليه مرة ثانية ويحدثه ولكن كمرخ كان في النزاع
 ! لاخير يعانى سكرات الموت ، وقد أصبحت محاسن وجهه كلوحة
 زجاج الفوتوغراف الذي أخذت عليه صورتان معاً ، حتى صوته
 فقد ضعف وتغير وظهرت فيه رنة الموت ، فهو اذن يصرخ الموت
 في ساعته الاخيرة وقد ارتفع صدره وانخفض بسرعة وقال لبول
 — انى سأموت . لن أعيش .

— كلاً يا كمرخ إنك حي وستبقى بل وستعود الى وطنك وأهلك
 . فى أسعد الأيام وأهناً الاوقات ، ستعود اليهم حينما تكون الاشجار
 راهية زاهرة وترجع اليك قوتك وعافيتك وتتمتع بمنظر الربيع
 وزهوره البديعة بل ونهناً بالعيشة وسط عائلتك فى أرغد واسعد
 عيش ... اذكر بلدك كلستر مبرج واذكر أمك
 (وفاة كمرخ)

ولكن كمرخ فى ساعته الاخيرة يقامى الآلاما ويعانى عذابها
 حوما أقسى ساعة الآلام الموت ، وما افطع عذابه على المرء ، فنظر الى
 صديقه المواسى نظرة الوداع وهو يقول له :

— ان . هذه ... ساعتى . الاخيرة يا بول . الساعة التى انظف
فيها بكلمتى الاخيره . آه . آه . اعطى حذائى لمول . آه . آه .
﴿ مقاساه بول لمشاهدة فزع صديقه ﴾

تألم بول المأسا طهر فى وجهه هذه المرة ولم يمكن لثباته ان
يخفيه ثم ركب بجانب صديقه وهو يقول .

— يارب . إن كمرخ عمره ١٩ سنة ولا يود ان يموت . فاشفق
به ، ارحمه يارب . هو يود ان يرى أمه كما تريد أمه ان تراه ، يريد
ان يرى وطنه وأهله . فرحاك ربى وعفوك عنه رحماك

ولكن كمرخ قد شفق شقيقاً متواليا وقد علت الرغوة ظاهرة
فوق قه وكثيرا ما يعلو الزبد على الفم عندما تفيض الروح وقد
مات امام صديقه وكان ذلك اول مرة فى حياته رأى الانسان فى
حالته الاخيرة ونزع الموت ، فكان لذلك وقع كبير عليه حتى أنه قد
شعر بأن كبده قد تفتت أو قلبه قد مزق تمزيقا . ثم صلى عليه
وأخذ الاحذية وذهب بها ليقدمها الى مول تنفيذاً لوصية زميله
. وتحقيقا لرغبته الاخيرة فكاد يمشى بخطوات ثابتة بين الجرحى
حتى اذا ما أصبح فى الخارج جرى والحداء فى يده والجند هنا
وهناك تهزأ به وتسخر منه وهم فى الطريق .

ولقد مر الطبيب على كمرخ ولم يلتفت اليه فعلا ، غير أن

المرضة علمت انه قد مات فأخذت الأمر من الطبيب بنقله وتغييره
أقوات السرير الذى مات عليه

(روح اليأس)

دخل بول الشكنه ببطء وكانت الجنود في وقت راحتها فمنهم من
كان ينتقى الحشرات الصغيرة من ملابسه الداخلية ويلقى بها في
الوقد وسطهم، ومنهم من كان يتلوى جوعا، ومنهم من كان يصرخ
وهو ذلك الذى مسه الخيال وكان مولر جالسا ساجدا في محار الخيال
ويستمع لأحاديث البعض الآخر وقد قال احدهم وكان من طلبة
الفرقة

— ماذا نفعل اذا انتهى الحرب ؟

فأجابه احد زملائه

— سوف لا يصلح للدرس والتعليم مطلقا وقد ضاع مستقبلنا

وقال كانت الغليظ الذى سرق الخزير متهمكا

— أما أنا فساعود الى عزيتى أتولى شئوننا وأهمل غدا الحياة

وهناء العيش وسعادة معيشة السلم والهناء

— خذنى معك مزارع

قال ذلك أحدهم مازحا فأجاب عليهم شاب آخر في الغرفة :

— لا هذا ولا ذاك . عند انتهاء الحرب وأعود سالما إلى بلدى .

سأبحث عن زوجة جميلة جداً لأشاركها حياة الراحة والسعادة
واللذة والسرور، وأعيش معها عيشة الاتعاش كي أكون بهنم
العيشة سعداء، فأنسى بها كل ما مر على ناظري في الحرب
وأهواله وويلاته.

(شبح الموت)

دخل عليهم بول وهو صامت يحاول أن يطرد خيال المنظر
للؤلؤ الذي رآه فأبى هذا الخيال إلا أن يكون نصب عينيه، فما
زال كمرخ أمامه على فراش اللوت، ولا زالت كلماته الأخيرة ترفه
في آذانه، ولا زالت تأوهات الأخريرة مسموعة محسوسة، وما زال يرى
دغواته فوق فمه فيطرد هذا المنظر المريع وأنى له أن يطرد ما قد
ثبت في الذاكرة وأخذ محله في الرأس. وقد استوطن للقلب تأثير
هذا المنظر الفظيع

(الجنون وفقد عواطف الإنسانية)

جلس بول صامتا يسمع ما دار بين الجنود من الحديث وكأنه
لم يشعر به أحد وعندما وقع نظر مولر على الحذاء صرخ بصيحة
الفرح قائلاً:

— ها . ها هو الحذاء الحسن . لقد أصبح لي!

وخطف الحذاء وهو فرح مبتهج وبول بجانبه يقول:

— هاهو الخداء : واني قد رأيت صاحبه يموت ، رأيته
يعني وهو في الساعة المريفة ، فهربت من منظر موته ذلك المنظر
المرعب المظنن وكأن ملاك الموت يتبعني ليخطف حياتي معه
كل ذلك ومولر يجرب الخداء في قدميه وهو منجذب به حتى
إذا ما ارتداه وقف يصرب به الأرض وتمشي به ذهابا وإيابا
غير مهم ولا مكثرت عما يقوله بول وينطق به برة الاسى والحزن
(شعور الانسانية)

ولما ان رأى بول ذلك العمل نظر الى زميله نظرة الاستقاد
والغيظ ونفسه تحذره بأن هب من مقعده ليضربه ، وبينهما كذلك
إذا بالجميع يسمع أصوات المدافع تشتد وجاءهم (هملستس)
يأمرهم في فظاعة وخشونة بالاستعداد للحرب والكل متألم يود
أن يشق عصا الطاعة وفعلا لم يستمع أحد لأوامره وتقدم اليه بول
وقال له ويكاد يبتلعه نظراته :

— ان آداب اللياقة يجب ان تتعلمها وتبتمد عن فظاظتك
وتهورك . كن اسانا قبل كل شيء ، واعلم ان الدين أمامك هم أناس
مثلك لا يجب ان يعاملوا أي معاملة خشنة أو قاسية

وخرج (الباشاويش) مخذولا مرعوبا واشتدت اصوات
المدافع فاضطروا ان يخرجوا من مكمنهم واندمجوا في المعركة

حيث نظمت الوحدات الألمانية والتمسوا به للقيام بعمل حاسم، وإذا بوابل
من القنابل قد أمطروهم، وزلزلت الأرض زلزلة هائلة تحت الخطوط
الدفاعية الألمانية وذلك من قوة الاله لم شديدة الوقع التي كانت
قد وصفتها جنود الحلفاء، فتداعت أركان القنابل الارتكازية
الأساسية وتحولت بذلك منطقة الدفاع إلى أطلال وتلال أثر التدمير
والخراب الذي نشأ عن تلك الرلازل المزعجة، وقد جرح مولقى
هذه الموقعة ولم ينمعه الحذاء أو ينقده من الخطر وظلت المعارك
متواصلة حتى سقط المهاجمون أنفسهم مع الألمان كذلك أعياء
من هول هذه المعارك. وكانت الحصاره جسيمة مع الفريقين
وهجمت جنود الحلفاء وهي تقفز فوق بول إلى الخنادق التي كان
بها زملاءه وقد جرح. وأسكر سألته قضت عليه أن يتقدم إلى الامام
فصار يسحق ببطيه واذ ذك رأى أحد جنود الأعداء وقبل أن
يفتك به اختبأ له تحت الاطلال حتى اذا قفز عليه طعنه
بسنجره طعنة بجلال. ووقف محتاراً متألماً مما فعل يناجى
نفسه قائلاً.

(عواطف الإنسانية وعذاب الضمير)

— لقد أصبح — وحسلاً لا إنسياً بحكم الوسط الذى أعيش
فيه .. أجل . قد بلغت القسوة فى الوحشية أن أقتل إنساناً مثلى

دون أى ذنب جنى غير أنه معرض الى الهدف الأعظم لذى أنا .
معرض اليه أيضا . واحسرتاه : أشعر أن الانسانية قد اعمت
اسمها ، وعواطف الرقة قد زالت عني وصرت كالوحوش الكاسرة
لاشفقة ولاحنان ، ولا احساس ولا عواطف .

قد عاتب بول نفسه على فعله وتقدم الى هذا الحدى الفرنسى .
وقد سأله لا فو عما جاءه وأظهر له تألمه لما قد حدث قائلا .

— أيها الرجل لا تخف . أرجو منك الصنح . أعف عني
فانا إنسان مثلك لى قلب حساس ولى عواطف الانسانية تسكن
بين جوابي بل ونملاً حوارحى شعور الحنان وحب السلام وكره
المظااة والقسوة والغدر . ولكن الحروب تنبئ على كل
هذا بل وتقاب كل هذه الصفات الى اصداها . الحروب
هى التى تخاق من ذلك الانسان الرقيق المملوء بالعواطف السامة
وحشاضايا حيا دافع عى أنها الخندى الباسل

أشار الفرنسى الى حاجته للشرب وأفهمه أنه وشدة الضم
فكشف عن سترته ليجث عن افاء الماء (الرمزامية) ثم أحيد
يجث له عن الحرح الذى جرحه له ليعسله وينظمه بعد أن
يشرب ولكن لم يجد معه ماء ولم يجد فى (زمزامية) الجريح
ماء بل ووجدها مكدورة . فزل متدحرجا عن هذه الاطلال الى

استنقع ماء مطر أحضر منه ماء في منديله ، ووصل الى الجريح
 ليسقيه وينظف جرحه . وكان ذلك الرجل قد مات فوضع بول
 في يده من المنديل بعضا من الماء وأراد ان يسقيه ذلك اليد التي
 طعمته غير أنه قد وجد فم الجريح مغلوقا وقد طاح الدم منه فبكى
 بكاء الشكلى وصرخ قائلا :

— ليتك قتلتني وقت الهجوم حينما وجدتني تحت أقدامك
 ليتك قتلتني الآن ذاك كان لي أفضل وأحسن ، أمثل من جهة
 الراحة اذا استريح هذا الموت وأحسن من جهة أخرى لعدم
 الألم الذي ألامى رجل مثلي هوأخذ في الانسانية
 اضطرت لقتله . والازمت بهذا الألم الكبير لأنه من الجيش
 المحارب . رباه ! واحسرتاه وواحر قلباه ! أطاش فكري حين
 ذاك : لقد كاد عقلي يذهب . عفوك أيها الانسان أيها الاخ عفوك
 لاتشكوني الى ربهك أكن لك من الشاكرين . آه ان الحرب
 همجية ووحشية

قال ذلك ثم غش في جيوب الفتيل فوجد أوراقا في وسطها
 صورة امرأة يجامها فتاه صغيرة وقد وقفت على كرمى فعلم ان
 المرأة زوجها الجريح والفتاه ابنته . وإنما قد احتفظ بهذه الصورة
 حين طيات ثيابه للتمتع برؤيتها فلما حن اليها واشتاق الى رؤيتها فأتته

جداً لما فعل وصار يضغط بأسنانه على فكبيه غيظاً حتى ظهر
ذلك الضغط من جهة خدوده وصار يصرخ وهو يقول :

— يا الله ! ما أنكد طاعمي وما أسوأ حظي . أهكذا قضى

القضاء بأن أكون بمثل هذه الصورة من الوحشية احرم الولد
من والده والروحة من شريك حياتها . ياللقسوه والفظاعة . الا
تدرى تلك العقول التي فكرت في نشوب الحرب مثل هذه .
الحوادث واثرها البليغ في نفوس اصحابها : ولم يكون الم الروحة
عندما تعود الجنود الا زوجها ؟ ولم تكون وقع المصيبة على تلك
الفتاة البريئة المسكينة وامثالها عندما تذهب للقاء أبيها وتبحث
عنه عثافين عادوا من الحرب فلا تجده . رب انك تعلم ان لي
ضيرحى يؤنبني على ما ارتكبت من إثم وعدوان فاعف عني
اللهم وسامحني انك الغفور الرحيم . آم . سأكتب اليها واعزيها
خير العزاء . ﴿ آلام بول وثمسينته ﴾

وقد كانت جروح بول حينذاك ضعيفة ضئيلة ولم تهدأ عاصفة
نفسه الا بهدوء المركة وهدوء المكان الذي كان فيه يباحي نفسه
تاره ويناجي القاتل طوراً ، ثم يناجي ربه اخيراً ويسأله العفو
والسباح وهو في شدة الألم ثم ذهب الى المعسكر وقد عزم على
ان يرسل الى زوجة القاتل خطاباً رقيقاً . ولقد وجد فراشة اعجب .

عشكها وأراد ان يقبض عليها بيده ليتسلى بها ، فرآه أحد جنود
الأعداء واستعد يندقيته أن يضربه في يده فقدم يول يده يبطء
لمسك الفراشه قبل أن تطير ، وما كادت تقع يده عليها حتى صاح
صبيحة الأم وارتخت يده مسممة بالرصاصه التي قد أصابتها . فنبقل
الى (جمعية الصليب الأحمر) لمداواته وإسعافه وكان مولر قد سبغه
هناك لأن إصابته هو الآخر كانت خطره . وقد تسمم ساقه من
شطايا الألغام ولم تجد الأطباء طريقة أجمع من بتر هذا الساق
الاثنين .. (أهمال وأنظمة المستشفى)

في عنابر مستوصف الصليب الأحمر مناظر مؤله فظيحه
تفتت لها الا كباد . فكل على سريريه يشكو آلامه وسقامه
فمنهم من يموت كأن لم يكن شيئاً ، وتمر المرضات والدكتور
على العنابر فاذا ما لوحظ ان احد الجرحى في حالة خطرة نقلوا
ملابسه من المشعب (الشعاعه) الذي يحوار سريريه ونقلوه من
مكانه خشية مكروب الموت

ولقد علمت الجرحى ان مايفعل بملابسه ذلك وتنفله للمرضات
الى الخارج فانه لاعالة ميت ، واتفق أن احد الجرحى أمام مولر
قد جاءت اليه المرضة وقلبت ملابسه وحملته على اللقعد المتحرش
وخرجت به ، فذعر وعلم ان هذا الرجل قد جانت بميته . وقد

وأى ذلك أيضا بول فتالم ولكنه نهي أن يموت كي لا يرى صنوفه
هذا العذاب الذي يراه في هذه الحياة المريرة . وكان بجانب بول
رجل متوسط العمر أخذ يسامره واتس بمحادثته وقد شرح له
أنظمة المستوصف كما بين له أشياء كثيرة أخرى عن اصطلاحات
المرضات والاطباء ونظام الجمعية وما فيه من عيوب وإهمال

وكان يستمع الى حديثهما جرح ثالث وهو يضعك لقهقهة
هذا الرجل المتكلم المتوسط العمر وصراخه ولقد اشار وهو
يضعك الى جرح في منتهى الضعف قد قام من سريره متحركا
نحو السريره الذي كان به الجرح الذي نقل وقد عبرت ملائكات
الفروش وأعطية هذا السرير، ولم يكذب يوصل اليه ويطل من النافذة
التي بجانبه حتى سقط ميتا . وقد جاء دور عملية مولر الجراحية
فأخذه وهو بصرخ ويقول

— (دعوني الآن دعوني) وهو خائف ينظر الى ملائسه

ليرى هل ستقلها الممرضة من المشعب ام ستبقها في مكانها
ولكن الممرضة لم تتقدم لها، وما هي الا رهة حتى كان على مقعد
العمليات واعملت له عملية بتر الساق، وهكذا أعيد الى سريره بساق
واحد ولم ينتفع بمخاض صديقه كمرخ ولم يمتأبه وكان هذا الحذاء
شوتا فالتكا بقطع أرجل الذي يرتديه .

وجاء دور بول فمواج وعمات له عملية بسيطة ولكن الضعف
قد بدى عليه وكان الدكتور بواسيه ويظهر بساطة الجرح وقرب
شفائه وبول يصرخ في وجه الجميع قائلا

— اذهبوا إلى السرير غرفة ٨ الذي يموت فيه الناس
وانقلوا ملابسى لا يتقن انى سأموت فانى لا اريد الحياة . . نعم
لا اريد الحياة لانى سئمتها من هول الحرب وقضاة
انتهت العملية نجاحا باهر وقد جاءه صديقه الذى كان
بجواره يشرح له حالة العرجى وفك الموت هم وسوء النظام الخ
هم جالس بجانبه قائلا

— هل البنج لذيذ يا بول ؟

فنظر اليه بول وهو فى شدة الالم لحياته اذ كان كل مقصوده
وكل ما يطلبه هو الموت ولكن الله ارادته نافذة كائنة فأراد له
الحياة رغم ارادته فى طلب الموت. ودام صديقه الذى انتقل من
سريره وجلس بجانبه يطمأنه قائلا له :

— انظر فى المراة يا عزيزى لقد تحسنت صحتك ولا ضرورة

لهذا اليأس وتعذيب النفس

وقد ناوله مراة وهنأ بالشفاء القريب ولم يكذب نام ليلته فى
نوم عميق حتى أصبح الصباح عليه وقد لبسه الله ثياب الصحة

والعافية ، فارتدى ملابسه وأبت سحيته وأخلافه إلا أن يذهب إلى صديقه مولر ليطمئن عليه ، وكان مولر في حركة هياج شديد وعصبية ، إذ شعر بالأم بعد أن أفاق من البنج وقد علم أن رجله قد بترت فثارت نفسه وهاجت ولما أن رأى صديقه بول بجانبه قال له :
— قل الحقيقة يا بول هل قطعت رجلي أم هي لا تزال موجودة ؟

— تمهل يا مولر واشفق على نفسك

— لا . لا . لا . اعطوني مسدسي لا تتعمر . لا أريد الحياة ولا

أريد أن أعود وسط عشيرتي بساق واحد

فأجهد بول نفسه في تهدئة صديقه وتخفيف مصابه بأعذب الألفاظ وأرق الجمل وأبدع المواساة وهناه بالشفا ، والقوة بصرف النظر عن بتر الساق ، فإن ما لا بد منه لا بد عنه ، وتركه وهو يفكر في الماضي وما لاقاه من ضروب الأذى وأنواع البؤس وصنوف العذاب في هذه الحرب الفظيعة ، بينما كان مولر على سريره يتألم ويتوجع ويتأوه مناجياً ربه منادياً « يارب . يارب »

كان الستار قد أسدل على هذه المنحزرة الشريفة الشديدة ولم يهدأ هذا الصراع إلا بوايل المطر التي جعلت السير متعذراً ، كما أن التعب قد بلغ أشده بالفريقين ، وعلى كل حال لم يصل أى فريق منهما إلى نتيجة يحزم بها على النجاح أو تسكون تلك النتيجة

حاسمة ، على كثرة الخسائر التي تحملها كلا الجانبين
(سفر بول إلى وطنه)

أخذ بول راحته وسافر إلى موطنه ولم يكذب يدخل البيت ،
حتى قابلته شقيقته فتعانقا عنق الاخوين وصرخت قائلة « هأنث
يا بول » وقد لثته وهي تبكي قائلة :

— أحمد الله الذي ردك إلينا سالما . بول . بول وافرحنا .
أبكي للنظر بول وإن منظر اللقاء ليبيكي أقسى الرجال قلبا ،
وأشدم غلظة ، ووقف مبهورا وقد طلب منها أن تعطيه أمندبلا
وأخذ منها المندبل وقد مسح به دموعه وسأل في ثبات عن أمه ،
غير أن الفتاة قد أخبرته بأنها مريضة ، ومتى علمت بقدمه فلها
لاشك تسترد صحتها وتقوى ، فذهب معها إلى حجرة أمه وهو
يخطو بخطوات المتأمل يسائل نفسه عما سيحدث في هذا اللقاء
(ملاقة الأم)

فتح باب حجرة أبيه ووقف بالباب يستأذنها بالدخول .
وأرادت الأم أن تهب مخفية من رقادها غير أن المرض قد أنهك
قواها فجزت عن مقاومته ولم تقدر على الظهور بهذا المظهر
مظهر القوة والخفة والنشاط فتقدم إليها بخطوات مسرعة وارتخت
في أحضانها وهو يبكي وهي تبكي واخته يجانبها تنظر إليهما

والدموع تتلألأ في مقلتيها. وبعد جهد جهيد أمكن الأم أن تلفظ
هذه الجملة :

— ولدى .. بول . ان سعادتي عظيمة جداً بعودتك . آه !
يا بني . ما أثر فراق الابن وخصوصاً في الحروب فلها تحسب ألف
حساب وتحلم طول غيابها بالأحلام المزعجة وترى في منامها كل
ما يشغل بالها ، آه يا بني . هأنت بين أحضاني فلا حمدن الله على
ما أولاني من نعمة لقاك . حمداً لك ربى وشكراً

تأثر بول ونسى في هذه اللحظة كل الأحوال التي مرت عليه
؛ شعر بالذنب غشاً له وقد تورط خذها وظهت على ملائكة القوة
من الاعتاش والزبح لرؤية وحيدها الذي وكلت امر دعوته لها
إلى الله سبحانه وتعالى ، وأم يشأ ان تنزعج فقال :

— امه . هدئي روعك . ها اني اشعر بأن قواك تستعاد

— قل لي يا بول هل الحرب مفرجة مريعة كما يقولون؟ وهل

هي ويل وهول وسهم وعداب كما يصفون ؟

— لا يا امه . يبالعون

ولم يشأ أن يصدق آذائها حقيقة ما هنالك وفضل الكذب
عن أن يترك اما الحسرة بقوله الصدق خصوصاً وأنه سيعود ثانياً
إلى تلك الحرب المشنومة ، استندت أمه عليه وأمكنها أن تقوم

وتجلس بجانبه ولاحت عليها ملامح القوة والنشاط فملأ وقد ذهبت
أخته لتعد له طعاماً لذيذاً شهياً

جلست الأم بجانب ولدها تنظر اليه فرحة بهتحة وهي
تحدثه والقلب منها يرقص طرباً وجدلاً، وسألته أن يقص لها عن
الحرب بعض الأمر فأخذ يشرح لها أن الحرب بسيط وأن لا خطر
إلا على الأعداء وأنه لم يلق أى عذاب في الميدان بل بالعكس
فإن عيشته هناك كانت عيشة هنية سارة ممتعة

أحضرت أخته الطعام وأكل الجميع والبشر في وجوههم .
وبعد أن تناول الغذاء ذهب إلى حصرتة فوجد بها كماً تركها، فجلس
على مكتبته الصغير وحن الى تلك الليالي التي قضاها في حصرتة
على هذا المكتب يستدكر دروسه ويؤدى واجباته المدرسية ولم
تمر على ذكرياته الدروس والاستذكار حتى تذكر المدرسة وشعر
بشوق عظيم ودافع في نفسه يدفعه للذهاب لزيارتها

(زيارة بول للمدرسة)

وقد كان نفس الاستاذ كاتورك الذي أتى الخطبة على مسامع
بول ومن كان معه في فصله واقفاً وسط الفرقة الجديدة مخاطب
في تلاميذه مثل ما كان يخاطب أيام بول وزملائه في نفس الموضوع
فكان يقول لهم :

وأما الطلبة، أنتم للوطن ذخيرة وقد ادخركم لوقت الحاجة، واعلموا أن خدمة الوطن من أوجب الواجبات، وهما هي الحرب تأتمة. وهما أنت ساعة الحاجة اليكم، وهما هو الوطن يدعوك لخدمته فهبوا اليه وانصفوه وحققوا آماله فيكم، كل هي أن أحيي فيكم مبادئ الوطنية وألقاكم دروس حب بلادكم، هذه الحياة لا يظهر فيها إلا القوى فهي أشبه ميدان القتال لا ينال فصب السبق ويحور الشهرة فيه إلا القوى الجري، فالحياة بلا قوة هي الموت يعينه، وهل يحب أحدكم أن يعيش خاملاً ميتاً؟

أما الطلبة: لقد درستم علم التاريخ وذن شهدتم وبه علمتم أن الإنسان محتاح إلى ذكرى حسنة يتركها بعده كي لا يموت وكأنه يكون موجوداً في الحيا الدنيا، إلاتروا في التاريخ كيف سادت الدول بسلطانها وقوتها وكيف كانت مقدرة عطاء تلك الدول لارتقاء هذا السلطان وتثبيت أقدامها في المدينة والسيطرة؟ أنا أريد أن نكونوا كهؤلاء العظماء الذين رفعوا من شأن بلادهم، وارتفعوا بها إلى أوج العلى والتقدم والحضارة.

إن كل شاب يجري في عروقه الدم الجرمانى لاشك بهتز هتزاز الأسود وهيب هبوب الريح العاصف عندما يرى المانيا في خطر. المجد كل المجد والذكرى الحسنة والسعادة، كل ذلك

«لا يمكن أن يكون للدن، إلا إذا أدى واجب الوطن وان واجب
الوطن فوق كل الواجبات»

ارتدى بول ملابسه وخرج مستأذنا من والدته قاصدا زيارة
المدرسة فوصل إليها ودخل متباطئا وقد سمع صوت استاذ الخطيب
بقول نفس الكلمات التي سمعها منه قبل أن يذهب الى الحرب
وهي -

« . هاهو الوطن يدعوكم فلبوا دعوته . المانيا التي استظلتكم
نسائها وحملتكم فوق أرضها ، المانيا التي تريد أن تكون لها
الغلبة على كل الشعوب ، والغلبة للقوى لا الضعيف ، ولن تكون
عقوبة إلا بكم ، أفتحبون أن تخذلوها ، ألا تريدون رفعة وطنكم ؟
أليس فيكم من يجيب دعوة بلاده ؟ من منكم بول أن يكون شجاعا
يضحي حياته في سبيل سيطرة جنسه على العالم ؟ . من منكم يطلب
هذا المجد ؟ إذن ؟ فليقم »

﴿ صراحة بول وشعوره السامي ﴾

استأذن بول بالدخول وقد سمع هذه الكلمات ولم يكذب
يقع نظر الاستاذ كاتتورك عليه حتى فرح بقدمه كل الفرح
ونظر اليه نظرة المشجع المعجب به ويسالته وحياء تحية حماسية .
وقال للطلبة :

« ان بول هذا الذي أقدمه لكم وأنا أفخر به كل الفخر هو
أحد تلامذتي ، كان طالباً مثلكم وكان يجلس على هذه المقاعد التي
تجلسون عليها ، ولكنه هجر هذا المقعد وترك هذا المكان وابتعد
عن الدراسة وفضل أن يكون جندياً ، وقد سمع خطابي المشابه
لهذا الخطاب الذي أخطبه لكم الآن قبل قدومه . . ها هو قد
سافر لنصرة بلاده وقد عاد متحلياً بأعظم حلل الشرف والفخار ،
إذاً كان غرضه من الحرب والسفر انما هو رفعة وطنه وسؤدده
وسلطانه وسيطرته . فهلا اقتنعتم بعد كل ذلك ؟ وها هو سيلقي
عليكم كلمة في هذا الشأن ،

قال لهم هذه الجملة الأخيرة والتفت الى بول يطلب منه أن
يشرحهم على المطوع في العسكرية ، ولكن بول ذلك الشاب الرزين
الناث الذي كان صامتاً طوال هذه المدة قد نظر الى استاذة نظرة
التعجب وقد هز رأسه علامة الرفض فألح عليه الاستاذ أن يتكلم
فقال له .

- لا يمكنني أن أتكم في هذا الموضوع
- ولكني أود أن أبرهن لهم فعلاً بقولك كلمة مختصرة
صغيرة تمهم وتكون برهاناً ثانياً لما أرمى اليه
- لا يمكنني مطلقاً أن أتكم في هذا الموضوع

— أنا لا أريد منك مستحيلا . ولا أطلب ما هو بعيد عن
 مقدورك وإنما أرغب أن تقص لهم شيئا عن الوطن والمجد الذي
 يناله من يسعى لرفيه من أبنائه . والسعادة التي يشعر بها كل ألماني
 غيور حر مخلص متفان بقدوم حياته في خدمة البلاد . قل لهم على
 الأقل أن الوطن في حاجة إليكم . — قال الأستاذ هذه الجملة الأخيرة
 لبول بصوت منخفض ولكن بول بعد كل هذا هركت فيه في ثبات
 وبطء وقد أسر في أذن أستاذه هذه الجملة

— كفاكم خدعة . المجد لا يستحق كل هذا العذاب إلا أنهم
 والوطن لا يحتاج أن تعرض مثل هؤلاء الأطفال الصغار إلى أهوال
 الحرب وفظائعها

إن همسه هذا يدل على أن بول شاب طيب القلب . عظيم
 النفس . محب للخير شفق رحيم . فلم يود أن يشجع هؤلاء الطلبة
 الصغار وقد وجدهم أصغر سنا من زملائه الأول . وكيف ترضى
 نفسه العظيمة . ويقبل قلبه الطيب أن يوافق الأستاذ في هذا
 الأمر ويجاريه في إلقاء أرواح هؤلاء الأبرياء إلى مهاوى الموت والقناء
 الحرب فظيعة كلها مكبات متواليات وسلسلة عذاب أين منه
 عذاب الجحيم . من أجل ذلك اختلف مع بول أستاذه ورفض أن
 يتكلم بهذا فكرة هذا الأستاذ المبهج للنفوس المثير للعواطف . إذ

فَكَرَّ فِي أَنَّهُ إِنْ خَدَعَ أَمَامَهُ وَخَطَبَ فِي هَؤُلَاءِ الطَّبِيعَةِ بِمَا طَلِبَتْ مِنْهُ . فَأَنَّهُ سَيَكُونُ سَبَبًا فِي حَرَمَانِ كَثِيرَاتٍ مِنَ الْأَمَهَاتِ مِنَ الْبَنَاتِ . وَفَإِنَّ الْحَرَمَانَ سَيَكُونُ مِنْ جَرَاءِ تَأْثِيرِهِ عَلَيْهِمْ بَلْ وَتَبِيعَةُ خُطْبَتِهِ وَمُحَمَّدِيهِمْ وَتَشْجِيْعِهِ لَهُمْ .

وَإِسْكَنْ الْأَسْتَاذَ قَدْ أَلَحَّ الْأَلْحَاحُ كُلَّهُ عَلَى بُولِ فَلَمْ يَرِ إِلَّا بَدَأَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَوَقَفَ أَمَامَ الطَّبِيعَةِ وَهُمْ فِي شِدَّةِ الْإِشْتِيَاقِ لِسَمَاعِ مَلْسِيَقُولٍ قَالَ :

— إِخْوَانِي . يَرِيدُ الْأَسْتَاذُ أَنْ أَخْبِرَكُمْ عَمَّا يَتَمَلَّقُ بِالْمِيْدَانِ وَاحْتِيَاجِهِ لَكُمْ بَلْ حَاجَةُ الْبِلَادِ إِلَى رِسَالَتِكُمْ وَلِكُنِّي رَفِصْتُ وَحَيْثُ أَنَّهُ قَدْ أَلَحَّ عَلَيَّ فِي طَابَعِهِ وَلَيْسَ لِي إِلَّا تَلْيِيْعُهُ عَدَا الطَّابِعَ احْتِرَامًا لَهُ وَاحْتِلَالًا لِنَافِعِهِ إِذْ أَنَّهُ أَسْتَاذِي وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيَّ غَيْرَ أَنْ أَرَى نَفْسِي أَنْ أَكُتِبَ فَأُحْدِثَكُمْ كَمَا أُرَى أَنْ أَكُونَ كَذَا مَعَ لَمْعِ الْحَقِيقَةِ . وَإِنْ لَا أَزِيدُ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَهِيَ

أَنْهَا الْأَطْفَالُ : اْعْلَمُوا أَوْلَايَ لَا أَحَالِبُ ضَمِيرِي بِدَاوِلِ الْحَقِّ أَقُولُ ثَانِيًا . لَا يَلِدُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ . وَيَهْلِكُ فِي مِيْدَانِ الْقِتَالِ . فَاَلْمُوتُ فِيهَا فَطِيعٌ وَمَا شَدَّ ذَنْبَ الْهَالِكِ هَاكَ وَأَشْعَى مِنْ هَذَا الْهَالِكِ الْعَيْشَةِ فِي الْمِيَادِينِ فَمَا أَعْظَمَ شَقَاءَ الْحَيَاةِ فِي الْحُرُوبِ . أَمَّا آسَفُ جِدًّا لِأَنِّي سَأُذْهِبُ إِلَى الْحَرْبِ بِأَكْرَفَانِي

في راحة اليوم . وغدا الى العذاب أعود . في الحرب قد يأتي وقت لا يجد الجندى فيه فضالة أي شيء ، ليأكلها وكفى . — قال بول بجراند في ثبات هذه الكرات ثم وصف حادثا رزينا شانه في كل أوقته وقد نظر الى الامتاذ ثم الى الطالبة وقد اضطجعوا على متاعدهم وأسرروا لبعضهم بعضا . وقد ظهر اليأس في وجوههم . وعم الكسل بينهم ثم ودع استاذهم وقد أظهر له اسفه قائلا :

— ما عودتني الكذب حتى أقول غير الحق وما عهدتني نفسي مخالفة ضميري فأتكلم بما لا يرضيه . وما أنست في قلبي الغلظة والقسوة حتى أسوق هؤلاء الأطفال بتشجيعي لهم الى ميادين الأهوال والمصائب التي تصرع أقوى الرجال والتي تذهب فيها عقول أشد الناس ذكاءا ، وثباتا وقوة ونشاطا

لم يشأ الأستاذ كما تتورك ان يغلب على امره فأراد ان يبدل كل جهده في التأثير على هؤلاء الطلبة بما وهب الله من مقدرة وبلاغة وتما فيه من براعة في اللفظ . وخلاصة في النطق وروية في المداورة والعلومات المؤثرة فعلا فقال للطلبة :

— قال لكم بول هذه الكلمات بطيش وغرور وقد يحوز انه لقي شيئا بسيطا من العذاب هنالك فتأثر وملكه هذا التأثير في كلماته التي قلها لكم بغير تروء وحكمة . وأنى حياة ايها الأبناء

ليس فيها عذاب . ولا يلتقى فيها الانسان شقاء ؟ تعب كلها الحياة
وشقاء جميعها سواء في الميدان أم خارج الميدان . اليست الحياة
العادية ميدان تنبارى فيه نحن جميعا والعلبة للقوى مناسواء كانت
هذه القوة مادية أو علمية أو فنية أو غيرها ؟ أى رجل جدير بالجلال
التاريخ وأى رجل اعتبره التاريخ رجلا عظيما ؟ ذلك الرجل هو
الذى عمل عملا مجيدا ذكره التاريخ من اجله واعتبره بذلك عظيما في
صف العظماء . وای عمل مجيد احسن من العمل لرفع الوطن ! وای
مجد اشرف من مجد الموت في الدفاع عنه . والعذاب الفردي
من أجل سعادة المجموع وسيطرة الألام العظمى للمايا ؟ انا لا اخذكم
غير انى اقول لكم يجرأة لو كان منكم من تجرى في عروقه دم
أرجوله والشهامة لقام يسالة ليناقتش بول ويقنعه بما تعبت في
تعميمه لكم . بل لو كان منكم من يقدر القوة والشجاعة والشهرة
والوطنية والجناس حق قدرها ويعرف معناها حقاً لذهب توا الى
مكتب التطوع ، قيد اسمه في دفتر المرق المستعدة ليحمي وطنه
ويتبرز في ميدان العمل الرجولي . "حجب احدكم ان تغلب المانيا
وتدخل جيوش الحلفاء بلادكم فتدينق اهلها وبني وطنه كثر وس
البلل والهوان ؟ تسبيح نساءكم وتستعبدكم شر استعباد اذا ما صار النصر
حليف الجيوش للعادية . فهل هذه رغبتكم ؟ هل تسرركم تلك الخلية

بنذك تم للأستاذ أن أثر على الفرقة وقامت هائجها منجحة وودع
كل طالب أعلاه واستلم مهمات العسكرية وتم تدريب الفرقة فعلا
وقد أرسلت إلى الميدان الأخرى

- - - وداع بول لأهله وبلده - - -

عاد بول إلى البيت وكانت أمه تنتظره بفارغ الصبر حتى
إذا ما وقع نظرها عليه قامت إليه وقد اشتدت أعصابها وقويت
عضلاتها وتم شاموها وعانقه وهي تقول :

— بول ! بول ! إني شعرت بوحشة كبيرة لفراقك هذه
البرهة القصيرة فكيف لي في المدة الطويلة التي غبتها عني وستغيبها
ثانية؟

— ادع الله يا أمه ان أعود إليك سالما كما عدت هذه المرة
— رب إني أعلم ما في القلوب وما تكنه الصدور . رب إني
سألك لبول رحمة وحنانا فاحفظه اللهم من خطر الحروب
— يا كرا يا أمه

— هل تشعر باليأس هناك يا بول !

— لا . لا يأس ولا شقاء

— حقاً ؟

— لا شك في ذلك

جاءت أختها وانضمت اليهما وجلست بجانب أخيها وهي تمتع
النظر برؤياه قبل السفر وتتمنى أن لا يفارقهما . فأبى الله وأبى
الحروب الا ان يكون الفراق .

الفصل الثالث

﴿ عودة الجنود للراحة ﴾

كان يوم الفراق هذا يوم موعد إرسال بعض من جنود
الميدان الغربى الى بلادهم للراحة مدة أسبوع . فكانت الشوارع
مزدهمة . وبرلين فى هوج وموح كل ينتظر عودة من يريد .
فهذه زوجة وأولادها قد جاءت الى المحطة لترى هل زوجها قادم
مع هؤلاء ، أولا ؟ وتلك أم قد أرسل لها انها أنه قادم فى هذا اليوم
فصارت تهرول فى الشوارع هى وأخوتها وأولادها كي تصل الى
المحطة لتحظى بعناق ولدها العزيز ويسعد من معها بلقائه . وكذلك
رجل قد بلع من السن عتيا يخطو فى الشارع خطوات الطفل المتسرع
الفرح لملاقاة ابنه . وتلك خطيبة قد تزينت وهى تسرح الخطوات
فى الشوارع لتصل الى المحطة حيث تسعد بانقاء حطيمها ولم يأت
موعد وصول القطار واذا بالمحطة قد احتشدت بفرجات والابناء
الصغار والامهات والآباء الشيوخ والاخوات والاخوات
والخطيبات وغيرهن

وصل القطار وقد صرخت الأولى اذ بحثت عن زوجها بين
 القاديين لم يجدته . وعلت أصوات أولادها معاً قائلين :
 بابا آه ، أين هو ؟ لم يأت مع هؤلاء أين هو يا ماما . أين أنت ؟
 وذهبت الأم بأولادها الى المنزل وقد مليء قلبها بالحسرة
 والهم والحزن واتى لها أن تظهر ذلك لأولادها وعلت أصوات
 الفرح والابتهاج من الآخرين للقاء أخواتهم وإنائهم وذويهم
 وماهى الأرملة حتى سادت السكون وخلت المحطة وذهب كل بضيفه
 الكريم الى بيته وكان بين هؤلاء القاديين مولد وقد قطع ساقه
 وسار في الشوارع مرتكزا على الأخشاب الصناعية التي عملت له
 ودخل بيته ففاجأ أمه بقدميه وكان قد نسي أن يكتب لها
 أو تاتى كي لا يزعمها أو تنسها وهو لا يود أيضا أن يذهب بعذاب
 الانتظار ولقد كان حزن أمه شديدا لفقد رجله . لكنها حمدت
 الله على ذلك وكان لمطر هذا اللقاء تأثير يسا لموع ويلين
 القلوب التي قدت من حجر . كان مر هؤلاء
 وقد قطعت يده وألير وقد قطعت ساقه

(الأم)

أرغى الليل سدوله . قد أرسل حينه
 وسادت السكون وانتهت السهرة . في منزل بول

نومه ولكن أمه لم تشبع منه فذهبت خلفه وجلست بجانب مخدعه .
 كأنها تريد أن تحرسه حتى ينام أو كأنها تحب أن تحده حتى تنمض
 عيناه . فلعبت بأصابعها في شعر رأسه وقد مرت يديها بحنان
 عليها وقالت له :

— ولدي . بول . انى أخاف جدا أن افقدك وأخشى أن
 يكون هذا الحرب شؤما فظيما لى . كما أخشى أن تنقطع عني
 أخبارك اذا مسست بسوء أو نالك ضر

— لا يأتى هان لى أصدقاء عديدة وكلهم مخلصون لى
 — وهل لابد من سفرك هذا ؟ وهل يمكن التحلف عنه .
 محجة ما ؟ . إن قلبى يدق لا كالمعتاد

— لا تخافى . ولا بد من السفر . أنا مسافر باكر وادعين
 الله أن يعيدنى بين ذراعيك آمنا سالما . أنا فى حاجة الى الراحة
 بالنوم الآن

— آه . قد وضعت لك يا ولدى سترتان من الصوف لتعمي
 جسدك بهما من شر البرد القارس . نم الآن هادئا نوم الصحة والراحة .
 الى اللقاء

— الى اللقاء يا أمى

﴿ خطرات بول و مناجاته لنفسه ﴾
 ذهبت أمه وقد أغلقت الباب عليه ولكن بول لم يتم بله
 اضطجع بيده على الوسادة وقال مناجيا :
 — أماه . إنك لاتعلمين ماهنا لك . إن ضيرى يؤنبني لاني
 كذبت عليك . ولكن هيات ان أقدر وأقوى على ان أذكر
 لك الحقيقة . حقيقة ماهنا لك فاني بذلك أخلف لك الأسي والسفام
 وأني لي ان أرضي لك ذلك أو أسبب لك أي ضرر . آه — انك
 لاتعلمين حقا

لقد قالت إن قلبها يدق لالاعتداد ، لماذا ؟ آه كم أناقي تحس
 وشقاء . رب عفوك ! أي ذنب جنيت حتى ألقى كل ذلك ،
 وتلقى تلك المسكينة يمانبي ماتلقاه من الآلام والعذاب ؟
 ناجى نفسه ثم استراح فوق مضجعه وأغمض جفنيه وتغلب
 عليه سلطان النوم ، فنام نوما عميقا

﴿ سفر بول للميدان ثانيا ﴾

بكر في الصباح وودع أمه وأخته وسافر الى الميدان وتقابل
 مع رئيسه واستلم مهماته كما استمع للأوامر الجديدة الخاصة التي
 أقيمت عليه منه . وبينما هو ذاهب الى الخنادق اذا به قد وجد
 أحد الطلبة التي كانت بالفصل الذي خطب فيه خطبته القصيرة .

حيين لهم فيها لمبعا فطاعة الحرب . فعرف توا ان الاستاذ كاتتورك
قد أثر عليهم بقوة منطقته فتألم جدا وأسف وأحب أن يعود الى
هذا الطفل الصغير ليتحدث معه . فرجع اليه وكان الآخر قد عرفه
وابتسم له فقال له بول

— كم ممرك يا عزيزى ؟

— ١ سنة

— هل معك فى فرقتك من هو أصغر سنا ؟

— نعم

فضحك بول ضحكة السحرية وتركه واستمر فى طريقه الى
الخنادق وهو يصرخ قائلا :

— يا اللهول . يبعدون الأطفال الصغار فيقدمونهم بذلك الى
الموت دون نزاع . حتى الله السلام العالمى لحماية عؤلا . الأبرياء .
كان من رملاء بول ذلك الرجل الضويل الذى حن والذى
كان يذتمى الحشرات الصغيرة من ملابسه الداخلية ويلقبها فى
الموقد وكان بول ومارال يعطف غايه . وأصادف ان الساعة التى قدم
فيها كانت الجنود تبحث عن أى طعام كان فلم يجد أحد شيئا .
وكان ذاك المجنون جالسا على كرسى وجانبه (طرابزه) مائدة
وضع بول فوقها فطيرا كانت أمه قد دسسته له وسط الملابس

٢٨
تالتفت المجنون فجأة وإذا بالأنمة الشبية قد أرغمت على هذه اللقطة.
فوجد الفطير ورأى بول فحم على الفطير وهو يقول له
هذا أم يا صديقي . انك ظريف حقا

قام باقى الزملاء واختطفوا الفطير فسلم المجنون بعد أن أخذ
مه كفايته ثم أخذ الجميع يتجاذب مع بول أطراف الأحاديث
عن بؤس الحروب وويلاتها و عما قد حدث لهم فى مدة راحته وقد
أخبره المجنون بأن الفرقة المستعدة الذى كان أحد افرادها لم يبق
مها الا الثلث . وكان النصف قد مات قبل سفره لزيارة أمه فى
أيام الراحة لم يربول بينهم ص يقه الغليظ الذى سرق الخنزير
لهم ذات يوم وهو (كات) فسأل ٤٠ م قام من بينهم قاصدا البحث
عنه ليحييه ويراه

اجتمعت الجند حول الطاهى فى (الكاتين) ليستلم كل
(حرايته) ولكنه أنى أن يعطاهم لا انا حصروا جميعا فقال
له المجنون

— ها قد حضرا جميعا ثا معنا

— لا

فحم عليه المجنون يريد ٥٠ م غير أن البان قد حصر وقد
حصر أيضا الباشجاو يش همستس على المشكل بأن أمره باعطائهم

جميعا على أن يزيد له (الجراية) فضحك الجنود وفضى الأمر
وهجموا جميعا هجوما شنيعا وقد قال أحدهم للطاهى

— هل كنت تنتظر أن يحى من مات ليا خذما يستحق حتى،

تقتبث وترفض إعطاء جراية عدد كبير الى عدد قليل ؟

— هل حقا قصتم هذا النقص الظاهر الكثير

— هكذا هي الحرب

كانت الذي ذهب نول لبيحث عنه مع الجنود الذين كانوا

يتشاجرون على (الجراية) وكان أول من سيغدر بالطاهى بعد

المجنون كما كان أول من وضع وعاءه ليملاء من الوعاء الكبير الذى

به الطعام العام وبعد أن أكل ذهب ليمشى بين الاشجار واذا

بيول أمامه فقال له ترحاب قائلا : — هالو ! بل

— هالو : انى أبحث عنك لأراك يا كات

— هاأنذا اشكرك . كيف الأهل والوطن

— مال . كيف أنت

— على مايرام يا عزيزى

ثم سارا جنبا الى جنب حتى اذا ما اقتريا الى كتلة من الخشب

هى جذع شجرة ضخمة ملقاة على الأرض ، جلسا عليها يتعاذنان

فبدأ كات : — ماذا يقولون فى الورا يا بول ؟ هل يتحدثون عن

لينقله الى (الصليب الاحمر) لمعالجته وقد نظر الى السماء فرأى
طيارة فوقه كانتا تمعقب آثاره فأرجف قلبه وعباخشية أن تلقى
عليهما قبيلة أخرى فكان على ذلك يمشى خطوة وينظر الى أعلى
ليستعد عند مداومة الخطر لنفج ما يقع بهما ولم ينظر الى فوق دفعتين
حتى قام على الارض وقال لصديقه

— نم يا عزيزي برهة حتى تنتهي فرقة هذه القبيلة

استمرت القبيلة الثانية الذي القيت عليهما وقد أخذ بول
حيطته لها مدة وجيزة ثم قام بول وحمل زميلة ثانيا وهو ينظر
الى فوق ويقول !

— انت يا من تلقى هذه القاذورات هل عميت ؟ ألم تنظر
الينا تحتك ؟ وهلا ترانى أحمل جرمحا أسمن منى ؟ يالوح لى انك
أعمى وغبي ضحك الجريح ضحكة الألم ثم قال لبول
— لا أدري لماذا طالت الحرب . ولماذا نجب المانيا المقاومة

وماذا تفعل لو فقدت قوتها .

ان هذا الأمر يدهشنى أما الآخر . إن الحرب وباء وبكبة
أين منه أقطع السكبات تأثيرا وعذابا

ألقيت عليهما قبيلة أخرى فكان تلك الطيارة تقصدهما بالذات .
ولا يريدان إليها الا الفتك بهما فالتقى بول نفسه على الارض وقد

سجدى حذوه الجرح غير أن شذرات ريش القتيلة قد أضافت كلات
مرة أخرى فصرخ صرخة عظيمة ارجع لها المكان قائلا:

— يا للهول : الحرب جحيم الدنيا . آه

فاسرع بول لجمه وذهب به نحو بركة ماء صغيرة لينظف له

الجرح وكان يسليه في هذا الطريق القصير بهذا الكلام

— تذكر يوم سرقت لنا الخنزير السمين وحملته الينا ولما

جئتنا به هجمنا عليه آه . يا من أنت فوقنا لا تقذف علينا شيء .

انظر قبل أن تقذف رابعا

ولكن صديقه كان ميتا وهو يكلمه وإذن فإن بول كان يحمل

جثة هامدة الاحراك بها ولا سمع لها . وصل به الى البركة ووضع

وأسند رأسه على جذع شجرة وهو يظنه متألما من الجرح ولما

أتى له بالماء وكله لم يجبه ، فقدم له الماء ليشرب ولكنه وجد الماء

كما هو لم ينقص من يده بل زاد عليه دم قد طفحه كات من

فمه فعرفه أنه لبي ربه . وانصم عدده الى الآلاف من القتلى أمثاله

ضحية هذا الحرب الشنيع .

حزن بول من أجل هذا الراحل العزيز ثم قال

— وارحمته عليك وبالحف قلبي على فقدك ، انا وصلنا الى

للفساد والاضمحلال بهذه الحرب المقتولة فالتى يرى انها السبيل

الى السؤدد والسيطرة والسلطان إنما هو مفتر مخدوع

* سياسة بريطانيا في الحرب *

بريطانيا في الحرب العظمى مستندة مع الحلفاء أجرت
المستحيل لتتغلب على ألمانيا وهي تبغضها كل البغص من قبل
وتتجنب الفرص لهلاكها قبل أن تنتشر سيطرتها أو تنال شهرتها
بقوتها، وغير ذلك فإن بريطانيا فعلا كانت قبل هذه الحرب
تتلمس السبيل الذي يوقع بالألمانيا ويوقف تقدمها إذ ترى فيها من
أبام (بسمارك) كمال العدة والعدد وحسن التدريب والقيادة وإتقان
رسم الخطط التي تسير عليها وقد رأت بعينها كيف كانت غلبة
ألمانيا على فرنسا سنة ١٨٧٠ بل كيف كانت هزيمة فرنسا في هذه
الحرب هزيمة لم يسبق لها مثيل في التاريخ وقد لومت إنجلترا رغم
أنها هي وإيطاليا وبلجيكا الحياء في تلك الحرب في حينها

ثابتت مصانعة الحرب . استعملت الألمان الغازات السامة
وكانت القوات الإنجليزية قد تمكنت من هذا الدارق إلا أن هذه المصانعة
غير أن الألمان رغم أنهم لم يهزموا إلى عزمهم في النهاية وذلك
سنة ١٩١٨ .

وفي مستهل العام التالي سنة ١٩١٩ تحول الهجوم الألماني
إلى (فردان) بقيادة ولي العهد انتح طريق الجنوب وطريق الغرب

٢٥
تمحو باريس، إلا أن الضحايا الكثيره جدا التي ذهبت سدى
والمجهود الكبير الذي حاوله الألمان عبثا أظهر خطأ المجازفة في
الهجوم على حصون مكيئة خالدة كحصون (فردان) هذه

الحق ان هذه الحرب هي أفظع حرب دموية ولقد أهكت
قوى المانيا فكم أظهرت مقاومة نادرة واختراعات عظيمة وبلغت
القسوة والفظاعة فيها مبلغا لم يشهده الناس من قبل ؛ فقد استخدم
الصعافيون والكتاب ، كل وسائل النشر لاثارة البغضاء ، والأحقاد
حتى انعدمت روح الرحمة وانتزعت أرفع صفات الانسانية كلها
من قلوب الشعوب المتحاربة . هل تركت في هذه الحرب وسيلة
من وسائل الخراب والتبديد واستئصال موارد الحياة دون أن
تستخدم ؟

كلا . لم تترك وسيلة ما .

ألم يكن في هذه الحرب للكيماويين والمهندسين وعلماء
الطبيعية ، أسلحة كيميائية خائفة ، واداة رمية ، واد
منصهرة فائكة ، وغواصات مدهشة ، ومدافع بعيدة الرمي ،
ومقذوفات هوائية مميتة ، ودبابات وسيارات مدرعة ، كل ذلك
من نتائج هذه الحرب التي بلغت ويلاتها ومصائبها مبالغا لم يحلم
به بشر في السابق ، أموال مجسمة قد ذهبت فيها ، ورجال عديدة

راحت ضحيتها ، وبيوت عظيمة خربت من سببها ، والذي أثر
 كل الأثر في نهاية هذه الحرب السلاح الأدنى لهذه الأسلحة
 المخيفة المهلكة التي استعملت فيها ، وذلك بأن الحلفاء لم يتركوا
 وسيلة من وسائل النشر من صحافة أو كتابة أو صور أو رسوم
 الا واستعملوها ليلقوا حمل مسئولية هذه الحرب على عاتق المانيا
 ومثلوا بفظائع الألمان أحسن تمثيل في هذه المنشورات فشرحوها
 سوء معاملة الأسرى ، وبيّنوا بطريقة منطقية كل فساد اجتماعي
 وسياسي سببه استمرار فظائع هؤلاء الألمان وأرادوا بذلك أن
 يظهروا أمام العالم بمظهر المجاهد الأعظم لنصرة الديمقراطية
 ونصرة الشعوب ضد العسكرية الوحشية ، ولقد كانت المانيا
 قاصرة عاجزة في هذا الميدان بقدر قوتها في ميدان الحرب بما
 ابتكرت من مدمرات وضربات . والذي أراه مصدرا لهذا العجز
 في المانيا إنما هو جهل الألمانين بطبيعة البشر واعتمادهم الوحيد على
 قوام المادية ، وضعف التربية السياسية فيهم وإهمالهم ليعلمون إلا أن
 يواجهوا الحقائق مواجهة دون تحوير أو تحويل .

ولقد لأن تطورا لحوادث الحربية ليعرّضها المانيا قد أخرج
 صدور الاهالي ، وهاج الرأي العام ، وحدث عجز في الحصول
 وأصبحت حركه التمرين اليومي صعبة جدا وذلك من الحصار ،

وتتابع اشتراك الدول في جانب الحلفاء مما أخرج مركز المانيا
السياسي وأثبت انحطاط تلك السياسة الخارجية ، وصفوة القول
قد حدث ضيق عام خصوصا بعد (رناخ هندنبرج) الذي ينص
بان الامة كلها تحت تصرف الحكومة للقيام باعمال المسألة الكبرى
الامر الذي من أجله وجد ذوو الافكار المهيجة أرضا صالحة ليزد
لذور الثورة الاجتماعية والسياسية بين الاهالي والجيش الالمانية
وكان الحلفاء يزيدون النار اشتعالا والفتنة اتقادا بنشر اتهم السابق
ذكرها لتقسم الخصم أدبيا ودعوته واضطراره الى القيام بشورة
ضد الحكم فكم كتبوا عن المانيا ورغبتها في عرقلة السلام العالمي
وكم أثاروا النفوس بما نشروا عن كرههم لخطة المانيا في الحرب
وجبههم للسلام والوثام ، بل وكم أوعدوا بوعود طيبة تمنا لصاح العادل
وفتنوا العالم بالفاظ خلاة (كحق تقرير المصير) وغير ذلك
﴿ آخر معركة للحرب ﴾

بأت معركة جديدة هزمت فيها المانيا هزيمة منكرة
وكانت هذه المعركة هائلة أحدثت أزمة عظيمة لدى الالمانين
ارتسم في مناظر هذه المعركة اعجب ما ارتسمه العالمين ، فمن
هجوم ودفاع ، الى التفاف ومقاومة تهدد هذا الالتفاف ، ومن
اختراق للخطوط وهلاك وسط الاختراق ، الى وحشية اللقاة

اللعسكري وفضاعة تلك الانسانية ناحيه الانسان. وكان بول وسط هذه الوقائع ربحا ويأبى عليه مبدأه (الثبات الى الموت) أن يسلم أو يخرج خائفا الى كائن يتقدم هاجما رغم الدماء السائلة من جروحه . وقد كان يتقدم والجنود معه تتقدم واذا بالباشجاوش المستسلم قد انهكت قواه وأراد أن يتباطأ ويتكاسل ويختبئ في خباياهم يهرب الى الخنادق أو الى أى مكان آمن، فلقبه بول وقد زجره وقال :

— قم يا جبان . أسرع . اهجم معنا

كل ذلك وهو متباطئ ، ينظر اليه نظرات الاستعظام ليركه ولكن بول أبى أن يتركه ودفعه بكل قواه الى الامام قائلا :

— الى الامام أيها الشجاع الى الامام

ثم أن بول بعد ذلك بزمن قصير قد نضبت موارد قوته وخرقته لايه لا في دمه — وهكذا قضى الله أن محرم أمه منه كما جاء في القرآن الكريم . وأذكر فؤلك لي . أخاف يارلای أن تفقدك . وفؤلك . أشعر أن قلبي يدق لا كالمعتاد وداعا يا أمه . وداعا ا طى الزين (الخائنه)

صار مركز الامام عرج جدا منذ هذه المركة وانتهت

الحرب سنة ١٩١٨ واشترك الحلفاء في مؤتمر الصلح في اول سنة ١٩١٩ وتمت القرارات الأخيرة على يد (ولسن ولويد جورج وكلمنصو وأورلندو . وهؤلاء على التعاقب مندوبو الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا وإيطاليا ، والويل للمغلوب فقد اعتبرت ألمانيا المسئولة عن قيام هذه الحرب وارتكاب أفظع الجرائم في سبيل رغبتها في التسلط على العالم ، كما هي المسئولة عن فقد الملايين من الأموال والرجال الفوضى الاجتماعية والاقتصادية التي نشأت عن هذه الحرب .

فانظر كيف كانت عاقبة الحرب وماجرت من انحطاط . شقاء وترمل وبنم وأزمات في البلاد والامم . فالعاقل كل العالم من يميل الى السلم لحفظ دماء العالم الانساني ويمنع الشقاق من تودده ليعيش العالم في عيشة هيبنة في أمن ووثام

والسلام على من اتبع الهدى

انتهت

من مطبوعات كنيسة الملوكة باب الخلق بحوزة الكتبخانة عمدة ٢٨٨ مصر وتطلب منها

طبع	طبع
١٢٠ مصحف بهامشه تفسير الخلالين	١٠ ديوان نرباته في الخطب المنبرية
٥٠ طبع مصر وسط	١٠ مباحل الصفا في مدح المصطفى
٣٠ » » » صغير	٢٠ السعادة لا يديه في القصائد الشاذليه
٢٠ » » » حجاب	٢٠ صفاء العاشقين في مدح سيد المرسلين
٣٠ دلائل كبرى محله بجلده مذهبه	٢٠ الاساليب الحديثه في الانشا الترميل
٢٠ » » » صغير	١٠ مكاتبات العشاق للمعزم المشتاق
٢٠ » » » كبيره محله كرتون	٢٠ او معشر البلخي في علم التجيم
١٠ » » » وسط	٢٠ » » » الفلكي
١٠ » » » صغيره	٢٠ مجموعه ثلاث كتب في الروحاني
١٠ مخوم الاوراد والاستغاثات للردير	٢٠ الخواهر الجماعه » »
٣٠ نظرات في التاريخ والادب	٢٠ مراسر الكون » »
٥٥ الحياه لهرى شتافوان	١٠ الفيض الرأني » »
٥٠ زهرات و غراب مجموعه قصص شعريه	١٠ سر الاسرار » »
٣٠ تذكار الحجار	١٠ محربات السيوت في الطب المضبوط
٢٠ الرحه في الطب والحكمه	١٥٠ قصه حمراء الهوان ٧ جزء ٤ مجلدات
٢٠ محربات الديار في روحاني	٣٠ » » » على الرقيق
٢٠ بدائع لوعور في وقائع الدهور	٢٠ سيرة الامام على مع الحصام
١٠ اعلاء لاس فيا وقع لبرامكه	١٠٠ روض الرياحين في مناقب الصالحين
٩٠ ديوان الامام على	٢٠ مختصر روض الرياحين » »
٩٠ » » » محمون ليلي	١٠ كتاب غرورة بدر وحسين
١٥ » » » عشرة العسى	١٠ » » » الاحزاب
٢٠ مصحك العوس و ١٠ ملهم الظرفاء	١٠ فتوح مكة المكرمة
١٠ اوسيرين لتفسير الاحلام	١٠ » » » الهسا
١٥ ددق الاحبار في الحقة والنار هامن	١٠ » » » فوج النين
١٠ شرحه مدون هامن	٢٠ قصه الزير سالم المهمل الكبيره
١٠ الاسعافات الطبيه	٢٠ » » » صغيره

